



المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : لا حرب إيرانية - إسرائيلية

عنوان الموضوع : لا حرب إيرانية - إسرائيلية

تاريخ النشر : 22/04/2018

اسم الكاتب : خالد الدخيل

الموضوع :

أخذت تتردد في الأيام الأخيرة أحاديث إعلامية عن إمكان مواجهة عسكرية مباشرة بين إسرائيل وإيران على المسرح السوري المستباح. كانت البداية مع إسقاط سلاح الجو الإسرائيلي طائرة درون (من دون طيار) إيرانية داخل فلسطين المحتلة. بعدها بأيام نفذت إسرائيل هجوماً جويًا دمر وفق صحيفة هآرتز الإسرائيلية، ما وصف بأنه نظام دفاع إيراني في قاعدة تي السورية. عندها بدأت التقارير والتحليلات تتراعى عن أن احتمالات المواجهة المباشرة بين الطرفين أخذت في الاقتراب. وقد تعزز ذلك قبل يومين بتبادل تصريحات نارية (T4) فور متبادلة بين الطرفين. نائب قائد الحرس الثوري، الجنرال حسين سلامي، خاطب الإسرائيليين بقوله «الأبادي على الزناد، وصواريخنا جاهزة للإطلاق... أنتم محاصرون... وتعيشون في قم الثعبان. لا تعتقدوا أمالاً على أميركا وبريطانيا. لن يبقى لكم أثر عندما يصلون. في حال اندلاع حرب كونوا على يقين بأنها ستؤدي إلى محوكم». هذه تذكرنا بتصريحات الرئيس العراقي الراحل، صدام حسين، عام 1990، وهي تصريحات أكثر تواضعاً. إذ قال حينها بأنه إذا تعرض العراق لهجوم إسرائيلي فإن العراق مضطر لإحراق نصف إسرائيل. من جانبه نصح وزير الدفاع الإسرائيلي، أفينغور لبيرمان، «جميع من هم على الحدود الشمالية أن يفكروا جيداً قبل أي فعل». مضيفاً أنه «ليس من مصلحتهم اختبار الجيش الإسرائيلي. نحن جاهزون لأي سيناريو». هل يحمل هذا الترشق الإعلامي مؤشراً على اقتراب مواجهة مباشرة؟ أبدأ. هذه ليست المرة الأولى التي تهدد فيها إيران بإزالة إسرائيل. هو تهديد يؤخذ ضدها سياسياً في حسابات الغرب والشرق. لكنه لا يؤخذ على محمل الجد. لو كان هدف إيران الحقيقي إزالة إسرائيل، لما دأب بعض قادتها، خصوصاً من الحرس الثوري، على ترديده عند كل مناسبة. مثل هذا الهدف يعني حرفياً في نظر الغرب العودة إلى سياسة المحرقة، فضلاً عن أنه يستهدف إعادة رسم الخريطة الجغرافية والسياسية للمنطقة. وليس من العقل والمنطق ترديد المجاهرة بذلك من قبل دولة لا قبل لها أبداً بمثل هذه المهمة. وهي مهمة تضعها في حال صدام مدمر مع الغرب، بما في ذلك روسيا التي تتحالف معها طهران في سورية. وما صمت الغرب على تصريحات إيران إلا لأنهم يدركون بأن المستهدف من ترديدها ليس إسرائيل، وإنما عواطف وخيالات العرب والمسلمين، وهي عواطف مكومة على خلفية الصراع العربي الإسرائيلي. تهديدات إيران هذه لم تعد تؤخذ على محمل الجد حتى بين العرب والمسلمين. إذ كشفت ثورات الربيع العربي أن إيران تشترك مع إسرائيل في احتلال دول وأراض عربية تتجاوز في حجمها كثيراً ما تحتله إسرائيل. السؤال في هذه الحالة، وبعد وضع موضوع القدرات جانباً: لماذا تريد إيران إزالة إسرائيل وهي توفر لها غطاء لاحتلال لا تستطيع المجاهرة به كما تفعل تل أبيب؟ احتلال إسرائيل معن ومباشر، ويحظى بدعم عربي وروسي نهائي. أما احتلال إيران (في كل من العراق وسورية ولبنان) فهو في أغلبيه احتلال بالوكالة من خلال ميليشيات ترتبط بها مذهبياً. ترى هذه الميليشيات أن نجاح إيران في مشروعها المذهبي في المنطقة يمثل رافعة لها داخل بلدانها. ويقدر ما أن الاحتلال بالوكالة يؤكد حرج إيران، إلا أنه يوفر لها غطاء يسمح لها بالمناورة في رفض تهمة الاحتلال بدعوى أنها مدعوة من قبل حكومات «شرعية». تسمح لها هذه الحكومات بإنشاء وتدريب وتسليح الميليشيات لصالح حمايتها من أعدائها السنة. يتكامل هذا الغطاء في شكل مزدوج مع الغطاء الإسرائيلي. إسرائيل كما تصورها إيران، ويصورها إعلام «المقاومة» الذي يعتاش على طهران، هي العدو الأول والأخير للعرب والمسلمين. أي محاولة لمواجهة إيران والحال كذلك تتطوي على تخل عن مواجهة احتلال مباشر لصالح الوقوف في وجه احتلال غير مباشر. سفسة الأول، فالأول. من ناحية ثانية، إذا كان هدف إيران من احتلال دول عربية هو تحرير فلسطين، وإزالة إسرائيل من الوجود، فلماذا الاحتجاج؟! سؤال انتهازي فاقع، يتداخل مع سداجة مصطنعة يستسلم لها بعض العرب تحت وطأة الشعور بالضعف والهزيمة. هل من مصلحة إيران إزالة إسرائيل في هذه الحالة؟ هناك اعتبارات أخرى لا تقل أهمية تمنع المواجهة. أولها أن إسرائيل ترى في الدور الإقليمي لإيران جوانب إيجابية لها. فمن حيث أنه دور يرتكز إلى أيديولوجيا طائفية، وأداته ميليشيا من الصنف ذاته، هو يضاعف الانقسامات العربية طائفيًا، ويتوافق مع مصلحة إسرائيلية قديمة. الفرق الآن أن إسرائيل تقطف ثماره من دون ثمن. منذ إنشائها عام 1948 كانت إسرائيل تواجه مقاومة شرسة من كتلة عربية سنية هائلة في حجمها تمتد من المغرب العربي في شمال أفريقيا إلى المشرق العربي في شرق آسيا. دخول إيران إلى هذا المشرق بأيديولوجيا وميليشيات مذهبية شيعية، بالتعاون مع حكومات محلية من المنطلق المذهبي ذاته، يخدم تفكيك هذه الكتلة، وإضعاف هيمنتها على المنطقة. وهذا بدوره يصب في مصلحة إسرائيل وإيران بغض النظر عن النوايا والأهداف النهائية لكل منهما. منطلق كل منهما في مشروعه هو منطلق ديني طائفي. لا يعني هذا أن بينهما مؤامرة مشتركة. ما بينهما تواطؤ تاريخي ضد العرب. وهؤلاء العرب كهدف مشترك هو ما يمنع الصدام بينهما حتى الآن. المشروع الإسرائيلي أوجد لنفسه أرضية في فلسطين. يتخذ حتى الآن شكل الشعب من أجل الجيش وليس العكس. لكنه يحظى بقوة تدميرية كبيرة، وبشرعية دولية واسعة، فضلاً عن تعهد عربي واسع بحمايته. أما المشروع الإيراني فلا يزال في بداياته، ولا يحظى بقوة عسكرية وازنة في ظل غياب سلاح للجو، وتجميد البرنامج النووي باتفاق دولي. يضاف إلى ذلك أنه مشروع لا يحظى بأي شرعية إقليمية أو دولية. بل يبدو أنه لا يحظى بشريعة واسعة حتى داخل إيران. أي مواجهة عسكرية مباشرة في هذا الإطار ستكون مدمرة بالنسبة لإيران. القيادة الإيرانية تدرك ذلك، خصوصاً الجناح السياسي الذي يبتعد في شكل واضح ومتعمد عن التورط في عنتريات مكشوفة. وهو ابتعاد يوحى بانقسام داخل القيادة. قبل هذا وذاك لا تملك إيران القدرة على فتح جبهة مباشرة مع إسرائيل وهي تتفوق عليها عسكرياً، وجبهاتها في العراق وسورية واليمن لا تزال مفتوحة وفي بداياتها. لننذكر بأن عمر جبهتها العراقية يقترب من العقدين الآن. وجبهتها اللبنانية غير قابلة للإغلاق منذ 1982. أي حديث عن مواجهة وشبكة مع الدولة العبرية هو من نوع التهويل الذي يطرب له المرشد في طهران، وحسن نصرالله في بيروت. ليس أكثر من ذلك*نقلا عن صحيفة الاتحاد